ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Abd Mahmoud Abd Beshr

College of Arts / University of Tikrit

* *Corresponding author: E-mail* : abdmhmood@tu.edu.iq

Keywords:
Despair,
manifestations of the mental,
self-estrangement,
in poetry

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	1 Apr 2024
Received in revised form	11 Apr 2024
Accepted	15 Apr 2024
Final Proofreading	8 May 2024
Available online	9 May 2024

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Manifestations of despair in Al-Akli's poetry

A B S T R A C T

This research advances the study to clarify the reality that vagabond poets live or suffer from in the Islamic era, and to identify their methods in confronting that reality, confronting it, and everything that is consistent with their situation, personality, and potential.

Accordingly, this research studies an example of a vagabond and lethal poet in the Islamic era: Ibn Uqish Al-Akli, for whom the specter of despair clearly collapsed in his poetry, which represented for him the flowing pulse of life and freedom, which was practiced by the ruling system and the tribe because he felt dissatisfied and accepting of what he encountered in this society in which he lived and about his social situation by imposing a system, principles and customs. It is different from that which people like him believe in, and it is natural for the burning in his soul to rise, and the sighs of deprivation to rise, because he suffered all manifestations of deprivation as he draws pictures of injustice and persecution, and the research relies mainly on poetic texts to reach its goal, using more than one method in the hope of a more accurate explanation. Clearly and comprehensively, noting that the analytical nature is most apparent in reading the poetic text.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.31.5.2024.01

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

مظاهر اليأس في شعر العُكليّ

عبد محمود عبد بشر/ كلية الاداب / جامعة تكريت

الخلاصة:

ينهض هذا البحث بالدراسة لبيان الواقع الذي يعيشه أو يعانيه الشعراء الصعاليك في العصر الاسلامي , والوقوف على أساليبهم في مواجهة ذلك الواقع , والتصدي له , وكل ما يتفق مع وضعهم, وشخصيتهم , وإمكانيتهم.

ووفق ذلك يدرس هذا البحثُ نموذجاً لشاعر من شعراء الصعاليك و الفتاك في العصر الإسلامي هو ؛ ابن أقيش العكلي ,الذي تهاوت لديه شبح اليأس في شعرهِ بصورة واضحة , والتي مثلت بالنسبة له

النبض الدافق في الحياة , والحرية ,والتي مارسها نظام الحكم والقبيلة لأن شعوره بعدم الرضا والقبول لما يلاقيه في هذا المجتمع الذي يعيش فيه وعن وضعه الاجتماعي بفرض نظام ومبادئ وعادات تختلف عن تلك التي يؤمن بها أمثاله, ومن الطبيعي أن تتعالى في نفسه الحرقة , وتتصاعد زفرات الحرمان , لأنه عانى كل مظاهر الحرمان وهو يرسم صور الظلم والاضطهاد , والبحثُ يعتمد بشكل أساس على النصوص الشعرية للوصول إلى غايته , مستعيناً بأكثر من منهج املاً في تفسيرٍ أكثر وضوحاً, وشمولية , علماً أن الطابع التحليلي ,هو الاكثر ظهوراً في قراءة النص الشعري .

الكلمات المفتاحية (اليأس , مظاهر , العكلي , غربة النفس, في شعر)

مظاهر اليأس في شعر العُكليّ

لاشك أن في أذهان الناس صورة غامضة غير مشرقة عن الصعاليك مجسدة في البيئة الطبيعة والرقعة الجغرافية , والانظمة التكوينية السائدة لديهم التي تكسوها ظلال قاتمة, وتغشيها سحب داكنة تخفي وراءها كثيراً من الأحاسيس المتضادة من فرحٍ , وحزنٍ , وأملٍ, ويأسٍ , وغيرها من المشاعر , وإذا أردنا أن نغوصَ في كشف الظلال القاتمة واجلاء السحب الداكنة لابد من الوقوف على أهم المميزات التي تقع على الذات الشاعرة لديهم , والتي تشكل رؤيتها للوجود, ولا شك أن الشعر مرآة الواقع الذي يعيش فيه, فلابد أن تلقي بظلالها هذه المشاعر على الشعر فنلمس فيه آثارها السلبية والإيجابية .

ومن هنا بدأ منطلق الدراسة إلى اختيار هذا الموضوع ليكون مجالاً للبحث والدرس وقراءة شعر الفتاك من خلال المقاربة النصية , والتحليلية لهذه الظاهرة في شعر العُكليّ, من أجل استقراء هذه الظاهرة النفسية كونها استفحلت في شعرهِ , وجعلت منه شخصا قلقاً ومضطرباً ومثيرا للأحساس باليأس , فدراسة اليأس في شعره _على الرغم من قلة أشعاره التي جمعها الدكتور نوري حمودي القيسي ضمن شعراء أُمويون الجزء الاول_ رصدت لنا شكلاً من أشكال ردة فعل على حالة التي يعيشها في كلِّ مظهرٍ من مظاهر الحياة , وهو يرسم صور الحزن والالم بكل تفاصيلها , مواجع اكتوت النفس بضرامها, وألهبها شواظ نيرانها, فهذا الأمر خلَّف لديه شعوراً بالتمزق , والتشرد , والضياع , ومحاولة التعرف على البواعث والاسباب التي أثرت عليه من الوجهة النفسية ,وجعلت منه إنساناً يائساً ,منتهجا بالدراسة على معطيات المنهج النفسي مع الاستعانة بأي منهج آخر يخدم هذه الدراسة التي من شأنها الكشف عمّا يمثله شعره من تجربة في الحياة ولَّدت لديه حالة نفسية سائدة جعلت أساليبه الشعرية مختلفة .

ومن المهم هنا _على ضيق المقام_ أن نحاولَ التوضيحَ أن التهميش الذي أصاب هذه الفئة في مدونة الشعر العربي القديم , جعلت صورتهم غامضة لدى الكثير من الناس , فقد اختفت كثيراً من أخبارهم , وكثيراً من أشعارهم ,فكان حظهم من الدارسين قليل ولاسيما القدماء , والسبب كان واضحاً لدى كل قارئ للنقد القديم وما اعتمدوه من معايير نقدية تميل في كثيرٍ من الاحيان إلى الذوق الفطري وهذا ما أخبرتنا به الكتب والتي كان يعقدها الشعراء في المحافل الادبية أو الاسواق كسوق عكاظ, والمربد ومجالس الخلفاء فيما بعد , والتي يلتقي فيها جهابذة الشعراء , وفيها يكون الاستماع, والتحاور, وإصدار الاحكام (ينظر : عزالدين الجردلي :188_189, وينظر:, ابتسام مرهون الصفار وناصر حلاوي :16_19.)أما شعراء هذه الفئة فهم بعيدون كل البعد عن هذه الملتقيات والأحكام النقدية بسب حياة التشرد والضياع التي عاشوها, إلاَّ أن النظرة تحولت في الدراسات الحديثة لدى هؤلاء الشعراء ,فقد تناولت الشعراء الصعاليك مفهومهم ودوافعهم , ومن هذه الدراسات , كتاب يوسف خليف (شعر الصعاليك في العصر الجاهلي) وكتاب محمد رضا مروَّة (الصعاليك في العصر الأُموي أخبارهم وأشعارهم), ولكمال أبو ديب (نص الصعلكة) في كتابه (الرؤى المقنعة),إلا أن دراستنا لهذا الشاعر تهدف إلى الابحار في إبداعه الشعري التي كانت دافعاً في اختيار هذا الموضوع إلى عدم وجود دراسة مشابهة تناولت شعر الشاعر أو أي شاعر آخر من الشعراء الصعاليك في العصر الاسلامي من هذه الناحية التي تعد أبرز الملامح التي شكّلت شعره علَّ هذه الدراسة تخرج ممتلئة بما سيكون إضاءة فكرية _وإن كانت شديدة التواضع _إلى جنب الجهود العلمية التي سبقتها في هذا المضمار , وكوّنت سماتِه الفنية التي جاءت كوثيقة دالة على حياته ونفسيته ,ولعل المزيد من الدراسات والاهتمام بشعره أو شعر غيره سيسهم في إضاءات كثيرة من مضامينهم الشعرية , فهم أرضية لاتزال تتطلب العديد من الجهود العلمية لإلقاء الضوء على الكثير من القضايا الفنية التي تحويها مضامينهم الشعرية , ويبقى البحث يشوبه الزلل والنقصان فهذا من طبيعة الإنسان لذلك نتلمس العذر في العجز و التقصير، ولا نزعم أننا وصلنا إلى الغاية لكننا سعينا إليها نطمع في حسن الاجتهاد الذي يمكننا من صقل تجاربنا في مجال البحث؛ .

وعلى هذه الشاكلة جاءت هذه الدراسة على النحو الآتي :

أولاً : المقدمة : أوضحتُ بها بإيجاز أهمية البحث والدوافع إليه ,ثم التخطيط الذي يسير في إطاره.

ثانياً: التمهيد : وتناولت فيه ,نبذة عن حياة الشاعر سيرة ذاتية , ومفهوم مظاهر اليأس (لمحة عن الدلالة والمفهوم).

ثالثاً: رصد هذه المظاهر من خلال نصوصه الشعرية والتي تمثلت بـــ (أصداء اليأس من الحياة , غربة السجن , التمرد على القبيلة).

التمهيد:

1- حياة الشاعر:

السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحرث بن أقيش العكلي من بني عكل من الرباب , كان من الشعراء اللصوص في أوائل العصر الأُموي , شاعر لص خبيث كان نجماً لامعاً في أيام عبد الملك وعم أذاه فقتله عثمان ابن حيان المري أمير المدينة أيام الوليد (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ):38:2, ,و , د. عزيزة فوال بابتي, دار صادر للطباعة والنشر طرابلس لبنان,ط1 1998: 198.), ولا توجد لديه اخبار اخرى سوى اخبار متباعدة ذكرها صاحب كتاب الأغاني من خلال قصيدة لعبد الرحمن بن دارة يذكر فيها حبس الشاعر وقتله , وذكر أيضا أنه كان نديماً لعبد الرحمن وأخاً, والقصيد التي ذكرها عبد الرحمن تفجَّع بها عليه ونعى على فعل فقعس القبيلة التي سلمت السمهري (ينظر:أبو فرج الاصفهاني :233:230:21 , وينظر د. نوري حمودي القيسي :131:1.),و بقي الشاعر مطاردا من قبل السلطة بعيداً عن الانظار باحثا عن الأمان المفقود وقد مثل احواله وقلقه كلها في شعره . ولشعره قيمة فنية فقد وجدناه متعدد التخصصات , فقد استشهد بشعره اصحاب المعاجم مثل لسان العرب وتاج العروس, ومعجم البلدان , وكتب اللغة , والبلاغة كأساس البلاغة , وكتاب الحيوان , ولكن ما يذهل الباحث غيابه في بعض المصادر المهمة , ولعل سبب هذا أنه مغمر وغير معروف.

2- توطئة:

ربما من الصعب إيجاد مجتمع إنساني متجانس أو قريب من ذلك, ولا سيما في البناء الطبقي , فشرائح المجتمع مختلفة لكلّ منها ما يميزها عن الآخر, ولذلك يكون التقسيم الأعم , و الأكثر شيوعا, هو التقسيم الثنائي المزدوج والمبني على التباين والتمييز العنصري , ولهذا قد أدرك الشاعر العربي القديم أن الزمن الذي يعيشه يغلب عليه العنف والقسوة , ولاسيما وأنه يكتوي بين نارين ,الأولى, بيئة الصحراء القاسية ذات الحياة البسيطة إلاَّ أنه تكيّف مع متطلباتها , وتفاعل مع معطياتها , أما الثانية ,فهي مرارة العيش , فاجتمعت عليه هاتين النارين خلَّفا في نفسه احساساً وشعوراً بالقلق, والاضطراب , والنزوع , فوجد في الشعر ((الميدان الرّحب لتجسيد هواجسه, والتعبير الأصيل عن خلجات النفوس , وخفقات القلوب)) (: عبد القادر عبد الحميد زيدان :116.)فضلا عن التقلبات السياسية والاجتماعية , والتي خلّفت مناخاً زائغ الدرب , أحول الروافد , فكل هذه المعطيات ولَّدت جواً حاداً يائساً تعمقت جذورها في نفس الشاعر العربي عامة وشاعرنا خاصة , رأى من حولها شراً, وفي

الحياة سلاسلاً كئيبة صدأت أغلالها من الألم, ومن ثمّ تنوعت مظاهر الألم بين الشعور باليأس متداخلاً مع الأمل في لحظات , وبين الشعور بالضياع والوحدة , وبين الشعور بإخفاقات الحرية التي اخنت على روح الشاعر الذبول والحرمان...

إذا أردنا الوقوف على ماهية الدلالة والمفهوم للكشف عن ضبابية المعنى اللغوي والاصطلاحي , فلابد من الوقوف عن كثب .

اليأس لغة واصطلاحاً:

جاء في مقاييس اللغة معنى اليأس بأنه ((الياء والهمزة والسين. كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء. ويقال إنه ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزة إلا هذه. يقال منه: يئس ييأس ويِيئس، على يفعل ويفعل.والكلمة الأخرى: ألم تيأس، أي ألم تعلم)) (ابن فارس , مادة (يأس))وقالوا في قوله تعالى: {أفلم ييأس الذين آمنوا} (سورة الرعد الآية: 31.) ، أي أفلم يعلم. وأنشدوا قول الشاعر (ابن فارس,مادة (يأس).

أقول لهم بالشعب إذ يأسروننني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ومقارب لهذا المعنى قول ابن منظور((اليَأْس القُنوط وقيل اليَأْس نقيض الرجاء يَئِسَ من الشيء يَيْأَس ويَيْئِس نادر عن سيبويه ويَئِسَ ويَؤُس عنه أَيضاً وهو شاذ قال وإنما حذفوا كراهية الكسرة مع الياء وهو قليل والمصدر اليَأْسُ واليَآسَة واليَأَس وقد استَيْأَسَ وأَيْأَسْته وإنه لَيَائِسٌ ويَئِس ويَؤُوس ويَؤُس والجمع يُؤُوس)).(ابن منظور مادة (يأس))

واليأس من الألفاظ التي سجلت حضوراً متميزاً في القرآن أيضا فقد جاء لبيان حال الانسان وذلك في قوله تعالى {وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً} (سورة الاسراء الآية:83.)

أما مفهوم اليأس من الوجه النفسية ضمن الإطار النفسي فيعزوه فرويد إلى الدوافع الشخصية التي تعرضت للحرمان أو الإحباط في تفريغ رغبتها في المصارف الطبيعية لها ، فينشأ نتيجة ذلك اليأس بسبب هذه الطاقة المكبوتة(ينظر :فرويد ، ترجمة (محمد عثمان) : 121 .).

فالنظرة اليائسة للحياة لها اضرار كثيرة بالنسبة للفرد, لأن ما يمرُّ به من تشاؤم يحدد من طاقته, كما أن اليأس يختلف لدى الناس باختلاف ظروفهم المحيطة بهم وملابسات حياتهم ,إذ ((قد يعيش بعض الناس حياة قاسية , وقد يعيش آخرون حياة تقل فيها قسوة الظروف إلى حد كبير, وبين هذين الفريقين من الناس من يعيشون معظم حياتهم يواجهون ما تأتي به الحياة من مواقف صعبة))(د. عبد السلام عبد الغفار , طبع دار النهضة العربية ,(د.ت):71.), إذن اليأس قيد ثقيل يمنع صاحبه

من الحركة والتفاعل مع الحياة يبدأ معها رحلة العذاب و الأحزان مع أزاء الاحداث والخطوب التي تعترض سبيله , ابتداء من صورة الفقد للمكان أو الاهل أو الامان والتي تفجع الانسان بمظاهرها التي تبقيه حائراً ومتسائلاً, ولعل اختيار عنوان البحث هذا لغلبة اليأس على شعر الشاعر ؛بل أصبحت عند الشاعر سمة بارزة في أشعاره ,تصب في اتجاه الحزن لديه, لأن الانسان العادي يتألم ويحزن لنفسه , أما المبدع فيعيش مأساة الاخرين ويجسدها في عمله الادبي .

مظاهر اليأس :

أولاً: أصداء اليأس في الحياة:

لقد ترك اليأس عند الشاعر أثراً واضحاً في نفسه, لأنه يعيش في مجتمع تسود فيه التفرقة الطبقية , وفق نظام تسوده الفوضى جرَّاء العامل الاقتصادي الذي كان له الأثر الأكبر في تحديد الفوارق بين أفراده ,ولأن الحياة بصورة عامة بالثروة والمكانة الاجتماعية (, حسين محمد عبيدات , وزارة الثقافة المملكة الاردنية الهاشمية , ط1, 2015, 61_62.) الأمر الذي دفع الطبقة المعدمة إلى أن تبكي آمالها , وترنوا إلى غدها بنظرة تشاؤمية ترقى إلى درجة اليأس , وإلى إحساسها_ وهي في معية شبابها_ لأنهم يعانون الحرمان الحقيقي من كلِّ مظهر من مظاهر الحياة , وهم يرسمون صور حالهم اليائس التي باتت تزدحم بها قصائدهم وتنطلق بها نفثات احساسهم بالحياة التي أوشك الفراق أن يكتنفها(ينظر : شعراء أُمويون :1:130.) ومن هنا نلمس طبيعة الحياة اليائسة لدى شاعرنا وأثرها في شعره , فقد تعالت في نفسه الحرقة , وتصاعدت زفرات الحرمان وهو يتأمل العيش بحسن الحال حيث يقول(م. ن 1:148): (الطويل)

ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطةٍ وتبلى عظامي حين تبلى عِظامُها

كذلك ما كان المُحبّون قبلنا إذا ماتَ موتاها تزاور هَامـــــــها

نجد في هذا النص تتعالى مظاهر اليأس لدى الشاعر , فالحزن يطالعنا ابتداءً من خلال زمن التمني, وهو كما معلوم لا يمكن حصوله, فالأماني ميتة وقد أوحت بها الالفاظ المنتشرة على مساحة المتن الشعري وأن اختلف في اللفظ إلاّ أنها اجتمعت في سياق تعبيري واحد لأنَّ ((الشاعر حين يستخدم اللغة اداةً للتعبير إنما يقوم بتشكيل مزدوج في وقت واحد , إنه يشكل من الزمان والمكان معاً بنية ذات دلالة))(عزالدين اسماعيل, الناشر مكتبة غريب ,ط4(د,ت) :48.) وهذا ما عمد عليه السمهري بمزج زمن الفرحة والسرور في الحياة مع دلالة المكان(القبر) بعمق الأمل الذي يعتري الشاعر عندما تبلى عظامهما , فالأسلوب الذي اختاره الشاعر بذكره حال المحبين جعله معادلاً موضوعياً لخلق توازن خيالي يستشعره المتلقي من خلال فهمه للنص ((لأن فهم النص الأدبي يتأتى بإدراك التلاحم الداخلي فيه, لذا فإن النص كله يجب أن يوضع تحت مظلة التفسير والشرح , وأن يتركز هذا التفسير على إدراك الدالة الشاملة ونمطية هذه التراكيب وسياقاتها الايحائية))(حمد

عبدالمطلب:203.) وبذلك تنكشف المعاني الايحائية الخفية التي تتزاحم في نفس الشاعر والمتلقي, فتظهر القراءة هنا على أنها مشاركة وتفاعل بين الأثنين.

كما نلحظ أن الشاعر وظف الرمز الاسطوري (الهامة) ليجعل منها ملاذه الاخير , أو للتخفيف من عبئ الحزن واليأس ليجد من خلالها سلوته ولاسيما احساسه بدنو أجله , فمن هنا يصبح الرمز الذي يشير إليه بؤرة إشعاع يبث من خلاله الأمل في التواصل وتحقيق نوعاً ما جزء من الاستقرار النفسي.

وفي موضع آخر نجد تضاعف حدة التوتر عند الشاعر نتيجة المعاناة النفسية التي تعتريه حين يجد نفسه _على حين غفلة_ نوازع الاندفاع , والهرب , والتخلص من بطش السلطة نحو عُمان ,لأن المسافات التي كان يتحرك بها ضاقت عليه , وأضحت خاضعة لسلطان العيون الباحثة عنه , فألم الحياة جعلته يعيش بمشاعر الخوف والعي والسقوط, وفي ذلك يقول(ديوانه في شعراء امويون :148:1.) (الطويل)

أَقولُ لِأَدنى صاحِبَيَّ نَصيحَةً وَلِلأَسمَرِ المِـــــغوارِ ما تَرَيان

فَقالَ الَّذي أَبدى لي النُصحَ مِنهُما أَرى الرَأيَ أَن تَجتازَ نَحوَ عُمانِ

فإِن لا تَكُن في حاجِـــبٍ وَبِلادِهِ نَجاةٌ فَقَـــــد زَلَّت بِكَ القَدَمانِ

فَتى مِن بَني الخَطّابِ يَهتَزُّ لِلنَدى كَما اِهتَزَّ عَصبُ الشَفرَتَينِ يَمانِ

استهل الشاعر أبياته الشعرية بأسلوب الحوار المتمثل بالفعل (أقولُ) ليكون بذلك منبه أُسلوبي مهم يفرض هيمنته في انتاج الحوار وتنوعه من خلال تبادل الرأي مع الآخر , وهنا صيغة جميلة وظفها الشاعر لتأكيد قدرته الخطابية بأخذ آراء الآخرين للتخلص من الوضع السيئ الذي هو فيه , فلم يعد يشعر بالأمان لحجم الخطر القادم نحوه ,فكانت عُمان هي الملاذ الآمن له بعد المشورة والنصيحة من صاحبه (الاسمر) , والابتعاد عن جند الحجاج ممثلة في النص الشعري بـ(حاجب بن خشينة) حتى لا ينالوا منه ,فالحوار الناتج مع الاخر من خلال تبادل الضمائر, أو ما يسمى بالالتفات ,هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر. (ينظر : عبد العزيز عتيق:143.) و الغاية منه ايجاد شريك يخفف عنه وطأة الحزن الذي هو فيه, ولربَّما الشاعر اصطنع هذا الاسلوب لنفسه ولكن بالحقيقة هو أن المخاطب (الاخر) ذات الشاعر, وهذا الأمر نجده شائعاً في الشعر العربي القديم , ويطلق عليه أسم (التجريد) وهو إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك(م. ن :191.) وهذا الفعل يُعد من الاقنعة التي يلجأ إليه المبدع لكسر الرتابة في الحديث , أو لتشويق المتلقي وإيهامه .وهنا تبرز مقدرة الشاعر الايحائية والتصويرية ايضاً في شحن النص بالكناية والاستعارة التجسيدية والتشبيه اللائي يعملن على بلورة المعنى وتجسيمه , ففي قولنا (زلت القدم) كناية عن الندم

أو الشر القادم , و قوله (فتىً ...يهتز للندى) استعارة , و(كما أهتز عضب الشفرين يمان) تشبيه , فهذه الاساليب اسهمت في تشكيل القمة الهرمية ,والمبالغة في التركيز, والمتناسقة على ما جاء قبلها ليعبر بأقصى ما يمكن التعبير عنه من صور ومشاهد تعضد حالته النفسية وتبث مشاعر القلق الحزينة ليستشعر بها المتلقي , ويجعله متفاعلاً مع النص عبر بنية متكاملة النسج تنفذ به إلى مناخ النص(ياسين النصير 1993م:22_24.) , وهذا ما يسمى أيضاً بالعمل الإبداعي, وهو لمسة فنية يعمد الشاعر بتوظيفها داخل النص الشعري تترك أثراً واضحا في ذائقة المتلقي .

وفي منعطف آخر من صدى الحياة متمثلة بصور اليأس والتي آمن بها بوقوع القدر مؤمناً بالاستسلام , فكانت أنفاسه تتصاعد ,وآماله تتضاءل ,فنجده قائلاً(ديوانه ضمن شعراء امويون : 1-145) : (الطويل)

فَلا تَيأسا من رَحمَةِ اللهِ وَانظُرا بِوادي جَيونا أَن تَهُبَّ شَمالُ

وَلا تَيأَسا أَن تُـــــرزَقا أَرحَبِيَّةً كَعَينِ المَها أَعــناقُهُنَّ طِوالُ

مِنَ الحارِثِيينَ الَّذيــنَ دِماؤُهُم حَـــرامٌ وَأَمّـا مـــالُهُم فَحَـلالُ

لقد كان الإيمان بالقدر لدى الشاعر بعداً من أبعاد الإحساس بمأساة الحياة , فهي صرخة أطلقها من أعماق قلبه ليشرك بها المتلقي معه, فما يعانيه من مرارة اليأس, وغربة التشرد ,وفقدان الأمل , دفعه الخوف والقلق والتوجس الذي ينتاب رفاقه داعيهم للتأمل والتفكير في المكان الوحيد الذي أحس به بالأمان هو (وادي الجون ونسيمه) فذكره له هو ربما مرتع طفولته , ومرابع صباه ,ومراح ذكرياته , فالشاعر يواجه الواقع، ويطرح الحاضر على أنه هو المنير الواضح، بكل سلبياته ونقائصه، والواقع أن ذكر وادي الجون، هو تعبير عن واقع حياة الصعلكة، وتجسيد التثبت بالحاضر وإلغاء الماضي ونسيانه، واندماج في الطبيعة الحيةِ, فالفنان الذي يبقى مشدودا إلى الطبيعة بأواصر كثيرة يندمج في الموضوع، و يؤمن به، يعده مطابقا في الهوية بأناه، بل لأناه الأكثر حميمية (ينظر:د. علي البطل , -130.), فاللغة الحوارية التي وظفها الشاعر كانت تشوبها حالة من القلق النفسي خلال محاورته بين (الأنا) و(الآخر) فهي تحمل في سياقها الشعري دلالة اليأس, وقد عزز الشاعر في الابيات اللاحقة بارقة الأمل علَّها تقلل من حدة اليأس والتوتر بإمكانية الحصول على (الإبل الاريحية) مسهباً بصفاتها عبر صورة تشبيهية من جمال عيونها ,وطول عنقها, وهنا لابد للإشارة سبب مجيء الناقة في هذا النص, إمَّا انسجاماً مع تأثير البيئة من جهة, أو وصفها ناموساً من نواميس الحياة للإنسان العربي عامة , وللشاعر خاصة, لأنها تُعد شريكة في أحزانه وحسراته من جهة أخرى(, محمد عبد العزيز كفراوي:24.)،ثم يشيد بكرم الحارثيين الذين يمتلكون هذه الابل ذاكراً لأصحابه بأن دماؤهم حرام, أما أموالهم فهي حلال, مستعينا بدلالة التضاد عبر توظيف ثنائية (حرام , حلال) فالكلمتان ينفي معنى كل منهما الاخر , فهما متضادتان قلباً وقالباً .

إن شاعرنا في هذا النص لم يمنع ظل اليأس وأهواله أن يتمدد ليفرش سماء أبياته , وجوانبها لتكون ظاهرة في كلِّ المعاني الشعرية ,مكونة بذلك لوحة إدرامية تعكس عمق الصراع النفسي الحاد من خلال حرصه الشديد على توظيف مثل هذه التعابير أو الدلالات (من رحمة الله ، وانظرا بوادي جيونا ، أن ترزقا أرحبية)التي تكتسب معنى إيجابيا بالنسبة لليأس ، وتعد نقطة ارتكاز مهمة بالنسبة إليه من أجل استمرارية الحياة وديمومتها .كما تدفعه إلى التفاؤل وتجاوز الصعوبات بنفس واثقة قوية.

وفي موضع آخر نجد تتصاعد في نفس الشاعر نوازع العودة إلى الأهل والأحبة , فبدونهم ضائع لا يعرف له بداية ولا نهاية ضالاً في متاهات نفسه التي حرمت من أي مرساة يلجأ إليها , ويرح بها نفسه المتعبة من التشرد , فمنزله لا يفارق ذاكرته لأنها مرتبطة بذكريات عزيز عليه , من ذلك قوله(ديوانه في شعراء امويون :1-143) : (الطويل)

أَلا أَيُّها البَيتُ الَّذي أَنا هاجِرُهُ فَلا البَيتُ مَنسِيٌّ وَلا أَنا زائِرُه

أَلا طَرَقَت لَيلى وَرِجلي رَهينَةٌ بِأَشهَبَ مَشدودٍ عَلَيَّ مَسامِرُه

فَإِن أَنجُ يا لَيلى فَرُبَّ فَتىً نَجا وَإِن تَكُنِ الأُخرى فَشَيءٌ أُحاذِرُه

فالفقد المكاني يسيطر على الشاعر لأن البيت الذي هجره رغماً عن أنفه هو من متعلقات حياته, لأن الديار لا تمثل في منظور الشاعر موقعا جغرافيا فحسب, بل تمثل الجماعة البشرية التي تعيش في المكان بما يربطها من قيم اجتماعية واخلاقية , و أواصر أُسرية تربطها وحدة الافراح والآلام والآمال, لكنه أصبح فضاء مليئا بالهواجس والاضطرابات النفسية إزاء كلّ الموجودات فيه , بل أصبح يرمز على إحساس الشاعر الدفين بالحياة المنطوية على الفناء وعوامل التدمير والتلاشي (ينظر: د.آن تحسين محمود الجلبي (بحث) مجلة التربية والعلم (جامعة الموصل) , مج 14 ,عدد, 4 لسنة 2007: 72.) كما أن هذا المكان يعد تجسيدا لهزيمته التي تخفق إرادته, وتدمر رغبته في ألأمن والاستقرار , واشارة إلى اليأس العميق ازاء البيت الذي استلب قهرا .

ولعلَّ المكان الذي هو فيه (السجن) أثار فيه حزنا عميقا جعله يسترجع ذكرياته إلى الحياة السعيدة التي مضت, عبارة عن ومضات من الماضي تقفز داخل وعي الحاضر المرير ,فيصور لنا السجن بصورة حية ليس من جنس الخيال ,فكل الاشياء محيطة به ليست متباعدة ,فالعبارات(ساقي رهينة, بأشهب مشدود , مسامره) فهي الفاظ لم تغب عن نظرة الشاعر, وانما غابت عن نظرة المتلقي ولنا أن نتخيل هذه الصورة, وهو مقيد مشدود على خشبة لم يعد قادرا على التحرك , لكن الجمالية الاخرى التي طغت على الابيات هو طيف ليلى , ويبدو أن الشاعر حريص بل شديد الحرص لمتابعة أوضاع ليلى حبيبته , فطيفها وذكرياتها لا تبارح مخيلته.

ويقول واصفاً نفسه في موضع آخر(ديوانه في شعراء امويون :1-144) : (الطويل)

نَجَوتُ وَنَفسي عِـــــندَ لَيلى رَهينَةٌ وَقَد عَمَّـــني داجٍ مِنَ اللَيلِ دامِسُ

وَغامَستُ عَن نَفسي بِأَخلَقَ مَقصِلٍ وَلا خَيرَ في نَفسِ اِمرِئٍ لا تَغامِسُ
وَلَو أَنَّ لَيلى اَبـــــــصَرَتني غُدوَةً وَصـــــحبِيَ وَالصَفَ الَّذينَ أُمارِسُ
إِذَن لَبَكـــــــــَت لَيلى عَلَيَّ وَأَعوَلَت وَما نالَتِ الـــثَوبَ الَّذي أَنا لا بِسُ

تتجسد طبيعة اللغة الموظفة في هذا السياق عن نسق يكشف لنا أشد لحظات اليأس , وأعمق ألحان الحزن , فتتفجر لحظات القلق المميت حين تتمزق النفس , وتتعثر الانفاس بعد مطاردة خاضها الشاعر مع خصمه , لكن هذه اللحظات المعتمة تبدأ بالتجدد من خلال الفعل (نجوت) الذي خصه بجسده فقط إلا أن نفسه رهينة عند ليلى , فالحبيبة هي المنفذ الوحيد للانبعاث والتجديد في سياق النكوص والتراجع أمام القهر واليأس المسلط على الشاعر, لينفذ من خلالها إلى تجسيد رؤاه النفسية والذهنية لإستجلاء الواقع المرير المسلط على الشاعر , ونرى الشاعر كرر لفظة (ليلى) ثلاث مرات في النص الشعري ,وكما يبدو أن هذا التكرار نابع من بواعث وحاجات نفسية لدى الشاعر, فضلا عما ولده هذا التكرار من انسجام موسيقيٍّ ودلاليّ وايقاعيّ يحمل في طياته ابعادا ايحائية عبرت عن تأزمه النفسي الذي يعيشه الشاعر لاسيما أن اللفظة أي ليلى ارتبطت بسياق تعبير خاص بها في كل مرة (ليلى رهينة , ليلى أبصرتني , لبكت ليلى) فهذه المفردات جاءت ضمن سياق لغوي ومعنوي وعاطفي بعثت تأثيرا صاعدا لتكون أقدر على اثارة المتلقي في الموقف المشابه لحاله , لأن الموقف هو الذي يحدد أو يفرض على المرء أن يختار الأسلوب الذي يرضاه لنفسه(ينظر: موسى ربابعة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الخامس، 1990م:172.) , كما نلحظ في البيت الاخير مزج الشاعر البكاء مع العويل ليلفت المتلقي عما في ذاته من يأس وحزن ينبئ عن الحيرة القاتلة التي رانت على افق رؤياه الشعرية , ولاسيما أن ليلى لم تنال شيئا منه حتى الثوب الذي كان يرتديه لأن خصومه حريصون على تمزيقه لو ضفروا به.

ومما تقدم نجد إن الحالة النفسية كانت باعثا مثيرا للشاعر , وقد أسهمت في منتجه الشعري مستعينا بذلك ببراعته في تحشيد المعاني ومهارته في صياغتها , وقد اسقط عليها كل ما يجول في خاطره من مشاعر واحاسيس مكثفة تتحول من إطارها البسيط إلى صور ذات حركة تنقل لنا حالة الشاعر التي مرَّ بها , لتشكل بوتقة يصب بها انفعالاته وتوتراته من خلال اختيار المفردات الموافقة لمناخ الحدث الموضوعي ونفسيته.

ثانيا:**غربة السجن:**

لم تنشأ الغربة في نفس الشاعر عبثا ؛ بل كانت مبعوثة بعوامل سياسية تتعلق بسجنه , والتي كانت باعثا مهما من بواعث اليأس في نفسه ,وممن دخل هذا المعترك لدى الكثير من الناس , فما بالك إن كان السجين شاعرا, فنجده قد أثر على نحو ملحوظ, فظهرت موضوعات تناسب المحنة، وتعبر عن عمق المعاناة , فتشكل لديه ردة فعل قاسية جدا لمشاعره , لما فيه من عقوبات , تمثل في صورة

حالة موت بطيء, متجددة بتجدد وحشة الأيام , وبفعل هذا تجيش لدى الشاعر عواطفا ومناجاة وهواجسا يفيض بها خاطره لتصهر ذاته المنكسرة في مشاعر الحيرة والقلق والخوف , فتجعله يلتحف الخيبة واليأس من الحياة, ((لأنه إنهاء لإمكان الوجود في العالم)) (عبد الرحمن بدوي:175.) حاصرته الحسرة , واشتد عليه وطأة الاحساس به , فتعمقت نظرته للحياة بحس حزين باعثا الالم الحاد به(ينظر : شعراء امويون: 136-137) ومن هذا المنطلق كان لشاعرنا رحلة صورت لنا واقعا حسيا ملموسا ذاق مرارته , باعتقاده أن الزمن الذي يفد بمرور الايام , ما هو إلَّا ممر طبيعي لنهاية مكتوبة عليه , فلم يجد الشاعر في هذه الظلمة وفي حالات الضجر يتعلل به أحسن من طيف ليلى , وهو يقول(م.ن:136): (الطويل)

لَقَد طَرَقَت لَيلى وَرِجلي رَهينَةٌ فَما راعَني في السِجنِ إِلّا سَلامُها

فَلَمّا اِرتَفَقتُ لِلخَيالِ الَّذي سَرى إِذِ الأَرضُ قَفرٌ قَد عَــلاها قَتامُها

يصور لنا الشاعر واقعه المرير دون مغالاة أو محاولة إخفاء للحقيقة وما هذه إلا ((صورة من صور الواقعية والصدق الفني))(عبد الحليم حفني, شعر الصعاليك: 387) معتمدا على طيف ليلى (لقد طرقت ليلى) فهي دلالة على الانهيار الذاتي لنفسية الشاعر, فطيف ليلى خلق ديمومة وحركة لديه لفك وثاق نفسيته من عنجهية وثاق السجن الذي نال منه , مما أدى إلى انخفاض وتيرة الانفعال بعد إن كادت تتلاشى آماله في غياهب السجن وظلمته موثوق القدمين , فحضور ليلى والقاء السلام عليه أزالت عنه بعض الهموم واشرقت لديه بصيص من الامل, لكن سرعان ما يدرك خيبة الامل وترتفع وتيرة اليأس عندما شعر أن طيفها اضحى خيالا, وقد ازف على الرحيل وانكشف كل شيء , فالشاعر عندما يتسلى بالخيال ((يستثير المعاني من مكامنها ويركب صورا جديدة أخذ مادتها وهيئتها من ما وعاه الحس وحفظته الذاكرة))(فاطمة سعيد أحمد , مفهوم الخيال , اطروحة دكتوراه , جامعة أم القرى:260, وينظر: د. عبد محمود عبد, بحث ,نزعة الانتماء في القصيدة الإسلامية: 152) لتوطيد الحالة النفسية المتأزمة التي يعيشها والهرب من المكان الواقعي , وهو بذلك خير وسيلة وأفضل سبيل للخروج من دائرة النفي والغياب, إذن حالة اليأس التي صورها الشاعر لنا هي محصلة التفاعل الناتج بين هيئة السجن وما فيه من الآت تعذيب من ناحية , وبين ذات الشاعر المتفردة ونشاطه الداخلي من ناحية اخرى.

ويستمر الشاعر في الحديث عن السجن بوصف دقيق من خلال حالته النفسية المتأزمة , فنجد هنا يوظف اسلوب التحريض ,فيحرض اخاه مالكا على أبني فائد قائلا(شعراء امويون1:142) (الطويل)

فَمَن مُبلِغٌ عَنّي خَليلِيَ مــــالِكاً رِسالَةَ مَـــــــشدودِ الوَثاقِ غَريب

وَمَـــــن مُبلِغٌ حَزماً وَتَيماً وَمالِكاً وَأَربابَ حامي الجَفرِ رَهطَ شَبيب

لِيَبلوا الَّتي قالَت بِصَحراءِ مَــنعَجٍ لِيَ الشِركُ يا اِبنَي فائِدِ بنِ حَبيب

اتَضرِبَ في لَحمي بِسَهمٍ وَلَم يَكُن لَها في سِهامِ المُسلِمينَ نَصيب

ينهض النص الشعري على أسلوب التبليغ والمكرر في النص الشعري , وهذا دليل واضح لنا أن نتصور حقيقة المعاناة النفسية التي تعتري الشاعر حين يجد نفسه _على حين غفلة_ مقيدا مشدود الوثاق غريبا بعيدا عن أهله وأحبته , فنجده على طريقة الشعراء القدماء بإرسال رسالة شعرية يطلب بها النجدة من (خليله مالك ,وتيم ,ورهط شبيب) فهذا التكرار يعطي أكثر من دلالة نفسية ومعنوية قد أثرت فيه, وهي حجم المعاناة التي يمرُّ بها , فإشكالية (الانا) الساردة _منذ الوهلة الاولى_ ركزت على منطقية النص الشعري من خلال اقامة علاقة بين النص وعنوانه الذي اتكأ على الصيغة الاستفهامية ممثلة بـ(مَنْ) والممزوجة مع عنصر التبليغ , الذي حدد جدلية الممارسة الشعرية في التعبير الوجداني عن الذات الشاعرة , والذي يفيض بالحسرة والالم , وهنا حقيقة لابد من التأكيد عليها في النص الشعري أن الشاعر لم يكن بحاجة إلى تغذية مشاعره بروافد خيالية(ينظر: عبد العزيز محمد عيسى: 147) وإنما جسد مادته الشعرية من حقيقة الواقع المرير الذي يعيشه , ويمكن بذلك الوقوف على الالفاظ عن طريق التصريح لا التلميح , ففاعلية الالفاظ الصريحة أسهمت في إثراء النص وبناه العميقة التي كان يروم إليها الشاعر في وصف حالته المتأزمة والميؤوس منها من جهة, وأحيانا يتجه الفاتك إلى تكثيف البنية اللغوية الغرض منها إظهار قوته وبأسه لإرهاب خصمه ،كنوع من الحرب الإعلامية من جهة أخرى ،وهذا ماتجسد في قوله لأن كما نعلم أن ((النص الادبي يرتكز في بنائه على مجموعة من العلاقات الدلالية التي تتجلى بين متواليات , وتتلاحم في بناء منطقي محكم , سواء أكان في مستوى البنية السطحية أم البنية العميقة))(د.ليلى سهل , بحث مجلة المخبر ,الجزائر :90).

وفي موضع آخر نراه يصف السجن وصفا دقيقا ذاكرا ابوابه ورقباءه, وقيوده, وأدوات الضرب فيه إذ يقول(شعراء امويون:1:141): (الطويل)

لَقـــدَ جَمَعَ الحَدّادُ بَينَ عِصابَةٍ تَساءَلُ في الأَسجانِ ماذا ذُنوبُها

مَقَرَّنَةُ الأَقدامِ في السِجنِ تَشتَكي ظَنابيبَ قَد أَمسَت مُبيناً عُلوبُها

إِذا حَرَســيٌّ قَعقَعَ البابَ أُرعِدَت فَرائِصُ أَقوامٍ وَطـــــــــارَت قُلوبُها

نَرى البابَ لا تسطيعُ شَيئاً وَراءَهُ كَـــــــــأَنّا قُنِيٌّ أَسلَمَتها كُعوبُها

إنَّ الناظر لهذه الابيات يجد أنها تكونت من صورة تموج في الحركة , والاضطراب والحيوية , والمشاعر المختلفة من فزع وخوف وهيبة ,لما يعيشه الشاعر من تأزم نفسي بين جدران السجن , متسائلا عن الذنب الذي ارتكبه هو وجماعته, فقد أضحوا مصفدين الاقدام , يشتكون ظلم السجان وترتعد فرائصهم وقلوبهم عند سماعهم حركة الباب وهو يفتح, فالحقل الدلالي الرئيس في لغة الشاعر هو كما اسلفنا الخوف والفزع عبر عنها بالمسرى اللاإرادي وسط ظلمة السجن بالأفعال (تشتكي , و أمست, قعقع) لتتحول الى صيغة التفات مفاجئ في عجز البيت الثالث , وبتوظيف اسلوب الكناية (ارعدت فرائصهم) للتعبير عن شدة الخوف الذي حلّ بهم, فالشاعر ينشد

الذات اللاهثة من عبئ ثقيل قد أغلق عليه كلَّ المنافذ التي توحي للهرب من الواقع المرير , لكن لا جدوى من هذه الصرخات ,لأن الزمن الذي يعيشه اضحى مأساويا , وقد أطبق عليه من كل الجهات , فنلحظ أن غربته النفسية لا تقتصر على ظلمة السجن فحسب , وإنّما اختلطت لدى الشاعر مع الواقع الخارجي بتشبيه حالهم مستعيناً بالآت الحرب التي أُتعِبت من كثرة الحروب, فتكبيلهم بالقيود وجعل رؤوسهم بين اقدامهم كالرماح التي انطوت من شدة القتال ,فصار أعلاها(القنا) مع اسفلها كعوبها , فجودة البنية التشبيهية تقاس بما فيها من صور حيَّة تجسد تجارب الشاعر وابداعاته الفنية وبالوقت نفسه تمتلك القدرة على تحريك خيال المتلقي لأن ((الخيال المصور يدرك ما في المعاني من عمق , وما يتصل بها من أسرار جميلة إدراكاً حادا رائعا, والذوق يختار أصفى العبارات وأليقها بهذا الخيال الجميل))(أحمد الشايب, الاسلوب:162), فغاية الشاعر بتوظيف هذه الاساليب للتعبير عن نزعة الحزن من جهة , ولإدهاش المتلقي بهول الظلم الذي يمارسه السجَّان داخل السجن من جهة أخرى.

وخلاصة مما تقدم نستشف من هذه النماذج الشعرية ,أنه وفق بها الشاعر في تجسيد الحالة النفسية لما مرَّ به في السجن , فقد وجدها الطريق الوحيد لنقل الوضع النفسي التي يعيشها هو واصحابه , فنقل لنا كل ما شاهده من رهبة وقلق على شكل صورة حركية عبرت عن الوضع المأساوي والضيق في الحياة.

ثالثا: **تحولات الشاعر بين الإنتماء و الاغتراب:**

إن الانتماء حالة فطرية عند الإنسان منذ نشأته على الأرض, أما الاغتراب يعني الانسلاخ والتمرد على هذا الانتماء, وبذلك يصبح الانسان في هذه الحالة غريباً عن مجتمعه وأرضه حتى وأن عاش بين ظهرانهم , فظاهرة الاغتراب تعد مشكلة بحد ذاتها , وبعض الصعاليك اغتربوا فارين من ظلم القبيلة حيث امتهنوا الصعلكة وسرقة أرزاق الناس، ومنهم من هرب فارًا من الجوع محاولًا كسب الرزق ومنهم من طردتهم القبيلة لسوء معاملتهم مع الناس، ومنهم من تمرد على الواقع وطالب بالعدل والمساواة ومنهم من قبل بالإهانة وقام على خدمة البيوت. وتعد هذه الظاهرة على تعدد الوانها البائسة من أبرز انواع الاضطهاد التي عاناها الشعراء الصعاليك , لأن الشاعر بطبيعته كائن اجتماعي, فهو جزء من المجتمع الذي يعيش فيه , فمن خلال شعر شاعرنا يمكن لنا تحديد عمق التحولات التي اصابة هذه الفئة , لأن قبيلته لم تدافع عنه , ولم تناصره في شدته, فحدث تحول في تحديد العلاقة مع القبيلة , بل حدث انشطارات سلوكية بدأت تأخذ أبعادها لدى الشاعر وعدم الاعتراف بها, فبدأ يهجوها في بعض الاحيان, فأصبحت خصيصة تعكس عمق التحول القبلي لديه(شعراء امويون1:132) فهذا الظلم والمعاناة التي عاشها ادخلته في صراع اليأس ضدَّ نفسه وضدَّ القبيلة مما يجعلنا نقرُّ بأنه((صراع غير متكافئ نفسيا لان الذات مقهورة والآخر _السلطة _ قاهرة))(محمد رزيقة , رسالة ماجستير , الجزائر: 99) فنتيجة هذه الاضطرابات الاجتماعية هي التي عززت فكرة التفرد , والغت الاعترافات القبلية, فخلقت مجموعة من الصراعات الداخلية عنده جعلته يتمنى أنه ليس من قبيلة عكل(شعراء امويون :142:141): (الطويل)

أَلا لَيتَني مِن غَيرِ عُكلٍ قَبيلَتي وَلَم أدرِ ما شُبّانُ عُكلٍ وَشيبُها

قُبَيِّلَةٌ لا يَقرَعُ الـــــــبابَ وَفدُها بِخَيرٍ وَلا يَأتي السَدادَ خَطيبُها

فَإِن تَكُن عُكلٌ سَرَّها ما أَصابَني فَقَد كُنتُ مَصبوباً عَلى مَن يَريبُها

إنَ الضغط النفسي الذي يعيشه الشاعر من إحساس بالنقص تجاه قبيلته , جعلته يتمنى أنه من غير قبيلة(عكل) فقد حشد في النص مجموعة من الالفاظ التي تدل على رفضه للقبيلة, وهذه الالفاظ(من غير عكل , وما ادري ما شبانها وشيبها, لا تقرع الباب وفدها, لا يأتي السداد خطيبها) تُشعر المتلقي أن هذه الالفاظ تدفقت في النص بانسيابية عالية منحتها سرعة من التوالي والترتيب ,عكست رغبة الشاعر في ابراز أكبر عدد من الصفات الذميمة , فضلا عن ذلك اورثت عمق التكثيف الدلالي لما يريد الشاعر إيضاحه وابرازه , لأن المقام لديه لم يعد مقام اطمئنان يتيح له اقامة آمنة في القبيلة , فقد تضاءلت وذابت لديه الشعور بالعصبية القبلية , وعلى هذا الأساس ظهرت لدينا مفارقة مهمة يمكن أن نُطلق عليها _إن صح التعبير _ (بالإنزياح الفكري) ,وهو تغير نظرة الشاعر من الإنتماء القبلي والتشبث بها , والدفاع عنها إلى نبذها وعدم مناصرتها , بل عمد جاهداً على محو تلك الصورة المبنية في ضوء المفاهيم الاجتماعية السائدة , فعلى الرغم من أن فقد الأهل والوطن يورث في الذات انكسارا وضعفا نتيجة فقد الإنتماء وذهاب الهوية(ينظر:سعيد العريفي :55), فيتجلى لنا في خلق حالة فريدة لذاته ينأى بها عن كل الاعراف السابقة, لأن ما بات يشكله من رفض يعد عاملا اساسيا دفعه إلى تغيير نظرته تجاه محيطه وذلك من خلال تكرار الشاعر لفظة القبيلة عكل ثلاث مرات فضلا عن ذكرها باسم القبيلة , فجاءت هذه الالفاظ مشحونة بالتوتر والرفض لها وما هي إلا تعبير عن حالة الشاعر النفسية وما يجيش بداخلها من غضب ونقمة واحتقار , ومع ذلك فأن أثر الانتماء انمحى لأنها لم تناصره وتدافع عنه ولو فعلت ذلك لكان لها مناصر ومنافح, ففي اصعب الظروف لم يفقد رجاحة عقله لو ابدلوا رأيهم بالدفاع عنه , وذلك بقوله(فَإِن تَكُن عُكلٌ سَرَّها ما أَصابَني فَقَد كُنتُ مَصبوباً عَلى مَن يَريبُها) فهذا البيت ينمُّ عن حس الانتماء لقبيلته لكن النتيجة كانت العكس الا أن الغربة القبلية بقيت مختزلة في حوار داخلي مع نفسه , وعلى ضوء ذلك عمد على قطع الصلة النفسية والعاطفية بينه وبين عشيرته وأهله.

ويبدو أن التمني ظاهرة اسلوبية في شعر السمهري تستدعي الوقوف عندها , لأن الشاعر اطلق اشعاره من ذات منكسرة سببت لديه عقدة نفسية كان سببها سوء معاملة المجتمع له , أو العكس لذلك , فنجد في ابيات اخرى يذكر (ليلى) وهي تتمنى عودته , ولكن هنا نرى أن مجيء اسم الحبيبة ليست هي بعينها , وانما المقصود بها هي القبيلة , لأن الانسان مهما وصلت به الحالة من الازدراء والابتعاد عن موطنه لابد من أن يحن إليها , لأنها الارض التي ولد بها , وعاش . ونشأ , وترعرع , فهذه الامور تعد أطرا قاتلة , وحدود ضيقة تفرض على صاحبها الافق المظلم وترسم له الابعاد الحادة المؤذية(حسين عطوان :85) عندما يشعر أنه فريسة الاحساس بالعزلة النفسية , والعزلة الواقعية , لذا أحس أنه مطارد من أعدائه (السلطة) فنراه يلجأ في توظيف اسلوب التمني الممزوج بالاستعطاف من أجل العودة إلى الديار وفي ذلك يقول(شعراء امويون :143:142): (الطويل)

تَمـــــنَّت سُلَيمى أَن أُقيمَ بِأَرضِها وأنّي لِسَلمى وَيبَها ما تَمَنَّتِ

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَزورَنَّ ســـــاجِراً وَقَد رَوِيَت مـــاءَ الغَوادي وَعَلَّتِ

بَـــــــــني أَسدٍ هَل فيكُم مِن هَوادَةٍ فَتَعفوا لَو إِن كانَت بيَ النَعلُ زَلَّتِ

جاءت البنية التركيبية للأبيات مبنية على التمني ليكشف بها الشاعر عن الرغبة التي ملأت قلبه وهو يعاني حياة التشرد والغربة من السلطة , , فأسلوب التمني الذي جال في أنحاء النص , هو نوع من التماس العطف والرأفة , هو على يقين أن الامر غير حاصل , وأنه لن يكتب له الامان ولا العودة الى والديار , ولهذا صار الشاعر يستعين في صناعة شعره على تقديم المعنى من خلال الالحاح على لغة المشهد ومن خلال لغة الحوار الذي دارت بينه وبين (سليمى) من خلال تبادل الامنيات فيما بينهم , كما تمنى ان يزور ساجرا(موضع ماء لبني عكل ينظر: ياقوت الحموي:3:90), ويروي عنده ابله , ثم يوسع دائرة الحوار مع بني اسد مستعطفا اياهم بان يعفوا عنهم , موظفا بذلك اسلوب الكناية عبر لفظة (زلت النعل) كناية عن الندم نتيجة الوقوع بالخطأ, لقد لجأ الشاعر هنا الى ما يشبه البرقيات الاشارية السريعة , لأن الشعر يقوم على دعّامة اساسية من الناحية اللغوية والبلاغية بوصفها الوسائل والادوات التي تعينه في عملية الانشاد الشعري بوساطة الترتيب والتنظيم وأخيرا اقول: إن الشاعر نجح في توظيف هذا الاسلوب لرسم حالته النفسية المغتربة في سياق لغوي نقل لنا من خلاله المشاعر الفكرية والنفسية التي باتت جاثمة على قلبه , والتي شكلت له عقداً نفسية يصعب حلها دعته للإصابة بالإحباط ((الذي يؤدي إلى الانسحاب بل العدوان , فيحمل الفرد مسؤولية ما وصل إليه, وتنمو لديه مشاعر الاغتراب))(ينظر: سعيد العريفي لأن المجتمع أضحى يحقره ويرفض في كل الاحوال فأدت إلى خيبة الأمل عنده التي عبّر عنها بأسلوب الاستفهام (هل) الذي خرج إلى معنى التمني ,والذي وظفه في البيت الاخير من النص .

وفي موضع آخر يتمنى الشاعر أنه من رهط الاصم بن مالك أو الخلعاء، مع معرفته بأن الاماني لا تجدي نفعاً أو تبل غليلاً، لذلك نراه ال يذكر التمني عن طريق اداة الشرط بـ(لو) مما يعزز القدرة التعبيرية لهذه الامنيات ويظهر عمق الحزن الذي يعتري الشاعر من جراء فقده واغترابه لقبيلته, إذ يقول(شعراء امويون1 : 142-143): (الطويل)

فلو كنت من رهط الأصم بن مالك أو الخلعاء أو زهير بني عبس

لقد يئس الشاعر من قبيلته على ارض الواقع ,فصار يتمنى أنه من أحد الاقوام موظفا بذلك حرف (لو) والذي خرج إلى معنى التمني(ينظر :أبو حيان الاندلسي:1:)162 ,فحالة الشاعر النفسية جعلته يعبر بهذا الوضوح ليجعل المتلقي يتفاعل و يأول أن هؤلاء الرهط والخلعاء وبني قيس يضرب بهم المثل بالوفاء والاخلاص لأصحابهم وعدم تركهم له , كما فعل بني عكل معه عندما انكروه, وبهذا الامر يعمق احساس الاستنكار ضدَّ قبيلته , بل يتلاشى ذلك الاحساس بالانتماء القبلي , وأن يكفر بتلك العصبية القبلية المميتة التي

لم تعد لها قيمة في حياته , وعلى ضوء ذلك نرى الشاعر كأنه استنجد بهم لشعوره بالحرية والامان معهم , ومن هنا ندرك أن باعث الضيق والالم كان قويا للتحلل من الشخصية القبلية فقد أثر عليه حتى بالتحلل الفني وليس الشخصي فحسب , فلم يعد لسان حال القبيلة , لأن ما بينه وبين قبيلته قد انقطع , ولم يعد لسانه صحيفة لها ليسجل كل ما يدور فيها , فأصبح ضمير الفرد (أنا) بدلا من ضمير (نحن) الجماعة الذي هو أداة التعبير القبلي(ينظر :د, يوسف خليف 276: 277), وهذا ما جعله يشعر بالاغتراب تجاه الرهط وعدم الانتماء لهم, لأنهم لم يثبتوا وجودهم له , فأدرك بذلك حقيقة الوجود الانساني هو بين قومه على هذه الأرض , وأن خلوده لا يكون إلا معهم لأن ذلك يحقق له متعة في الحياة ويبقى أثره حيا بينهم بعد مماته , فشاعرنا كان يحرص أشدّ الحرص على التعايش ضمن نطاق القبيلة إلا أن الاغتراب والابتعاد أدى به إلى عدم التكيف مع منطق المجتمع الذي يعيش فيه . وفي موضع آخر يربط بين رمزية الغراب والاغتراب والذي جعلها الشاعر مقرون بالبين وذلك في قوله(شعراء اموين, 1: 143- 144): (الطويل)

رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينشنش أعلى ريشه ويطايره

فقال غراب باغتراب من النوى وبان ببين من حبيب تحاذره

فكان اغتراب بالغراب ونية وبالبان بين بيّن لك طائره

ينهض النص على خطاب ممتلئ باليأس من خلال عتبة تصدير النص، إذ بدأ الشاعر باستدعاء الغراب الذي يمثل رمزية التشاؤم النفسي في الضمير الجمعي، فالشاعر تمكن من تشكيل تشاؤمي عبر خيوط النص المتشابكة من الغراب وحركته ومجموعة الدلالات المرتسمة منه، وهو يحقق ذلك عبر فاعلية الفعل (رأيت) الذي يحيل المتلقي الى اهتمام الشاعر بالمشهد المأساوي، فضلا عن تحولات عدسة الشاعر المتنقلة على كل تفاصيل مشهد الغراب الذي وصفه بحركة المبعثر على نحو قوله (ينشنش ريشه ويطايره)، ونلحظ الشاعر يلجأ الى الحوار عبر دلالة (فقال غراب) هذا الحوار الذي جاء خادما لقصد الشاعر عبر أنسنة الغراب وتماهي المسافة بين الشاعر – الانسان- والغراب – الحيوان- في محاولة جادة لنقل اكبر تمثيل صوري لصورة الغراب المنعكس على ذات الشاعر اليائسة، فضلا عن التقارب التركيبي بين (غراب باغتراب/ بان ببين/ اغتراب بالغرابة/ بالبان بين) الذي عززّ بدوره من حضور الاغتراب والانكسار النفسي عند الشاعر على النحو الذي يحيل الى يأسه النفسي، فالشاعر حين عاد على صورة الغراب والمشهد الذي رسمه له وحركية الحوار كان بقصد تشكيل وعي عند المتلقي لتماثل الشاعر بالغراب على النحو الذي يعزز قناعة المتلقي بمأساوية ويأس الشاعر وتأزمه النفسي المتشكّل عبر دلالات الفراق، أن استخدام الحيوان والطير في متن القصائد ما هو إلا صدى للواقع، فهو يعبر عن مرحلة من مراحل الحياة (ينظر : منال عبد الفضيل :33) ، إذ لافرق بين فراق الاحبة وفراق الاهل.

ونخلص القول قد تبين لنا جليا ما مثله الاغتراب القبلي عند الشاعر السمهري , وكيف تمكن استدامتها في خضم نتاجه الشعري , وحرصه على الالتزام لرفضه للقبيلة لما لها من دور بارز في حياته , لذا جاء شعره ملئ بالأحاسيس الفكرية والنفسية التي باتت تسيطر على لغته الشعرية بأسلوب فني رفيع أظهر مقدرته الفنية بالصياغة والتعبير.

الخاتمة:

1- إن مظاهر اليأس أصبحت ظاهرة معنوية في بنية العديد من قصائده , فهي لم تقتصر على قصائد بعينها تحتوي غرضا شعريا مستقلا من رثاء أو شكوى ؛ بل استفاضت هذه النغمة الحزينة في جُلَّ قصائده , ولعلَّ هذا الأمر يعود إلى ما أتصف به شاعرنا كونه من الشعراء الصعاليك , فهم مطاردون ومنبوذون من قبل المجتمع والسلطة.

2- إن ما أحاطت بشاعرنا من مظاهر نفسية حزينة , صارت معاولاً هدَّامة أنهت كيانه , وأرقت مضجعه, ونفشت في قلبه الاحزان , ومن هذه المعاول,

أ- أصداء اليأس من الحياة , وما انتجته هذه الأصداء من حالةٍ نفسيةٍ كانت باعثاً مثيراً في نفس الشاعر , فتموجت أشعاره باليأس والقلق عكست تلك التجربة الرهيبة والتي رانت على قلبه طوال حياته.

ب- غربة السجنِ وآلامه, فهذه الغربة التي انتزعت منه سعادته , فغدت هذه الغربة ملازمة له كالظل , فلم يكن بها إلا كاتم الأنفاس , وجل القلب خوفاً ,راجف القدم سوطاً, كل هذه من السجان ووقع ادامه في ذلك السجن , إلا أنه رغم كل ذلك ملتمس ضوء إبتسامة من طيف حبيبة , أو يدٍ حانية من خليلٍ في وحشة سجنه ووحدته.

ت- صدق التجربة الشعرية بين مظاهر الانتماء وتحولات الاغتراب , فاصطبغت وجدانه بصدقه الفني , لأنها نبعت من أصالة في التعبير عن افكاره وعواطفه , بذلك نجد الشاعر قد وائم في تجربته الشعرية بين قضية الانتماء والاغتراب , وما تحمله هاتان القضيتان من فيضٍ عاطفي وشعوري , لاسيما تحدث عن القبيلة ورفضها له.

Sources and references:

-Abu Al-Faraj Al-Isfahani, Songs, edited by: Samir Jaber, Publisher: Dar Al-Fikr - Beirut, 2nd edition.
-Abu Hayyan Al-Andalusi: Appendix and completion in the explanation of the book Al-Tashil, edited by Dr. Hassan Hindawi, Dar Al-Qalam, Damascus, 2nd edition (d, t.(
-Ibtisam Marhoon Al-Saffar and Nasser Halawi: Lectures on the History of Criticism among the Arabs, Dar Juhayna, Jordan, 1st edition, 2006AD.

-Abu Ubaid Abdullah bin Abdul Aziz bin Muhammad Al-Bakri Al-Andalusi (deceased: 487AH) investigated what was in it and extracted it from the depths of the collections of knowledge: Abdul Aziz Al-Maymani Samat Al-Laali fi Sharh Amali Al-Qali, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, (D. T.), (d, i(

Ahmed Ibn Faris Ibn Zakaria Al-Qazwini (d. 395), Standards of Language, edited by Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1399AH - 1979AD.

-Ahmed Al-Shayeb, Style: An Analytical Rhetorical Study of the Origins of Literary Styles, Egyptian Nahda Library, (D, T) (D, T:(

Anxiety: Freud, translated by Muhammad Othman Najati, Dar Al-Shorouk, Beirut, 1983AD.

-Ann Tahseen Mahmoud Al-Chalabi: Jinns and Ghouls in the Poetry of Ubaid Allah Bin Ayoub Al-Anbari, (Research) Journal of Education and Science (University of Mosul), Volume 14, Issue, 4of 2007: .72

- Hussein Atwan, Poetry of Tramps in the Islamic Era, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon, 1407AH :1987

- Hussein Muhammad Obaidat, Manifestations of Fear in Umayyad Poetry, Ministry of Culture, Hashemite Kingdom of Jordan, 1st edition, .2015

- Hamad Abdel Aziz Kafrawi, Arabic Poetry between Stagnation and Development, Dar Al-Nahda, Cairo, (ed.), 1985AD: .24

-Khaled Jaafar Mubarak: Graphic formation in the poetry of the tramps and the fatalists until the end of the Umayyad era (PhD thesis), College of Education for the Humanities, University of Diyala, 1435AH, 2014 AD.

-Saeed Al-Arifi: The Texture of the Arabic Poem, Arab Publishing House, Lebanon, 1st edition, 2011AD.

Shihab al-Din Yaqut al-Hamwi, d. (626AH), Mu'jam al-Buldan, Dar Sader, Beirut, 2nd edition, 1995AD.

-Abdul Halim Hafni, The Poetry of the Tramps, Its Method and Characteristics, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1st edition (D, T.(

- Abdul Rahman Badawi, Existential Time, Egyptian Nahda Library, Egypt, 2nd edition, 1955AD: .175

-Abdul Salam Abd al-Ghaffar, Introduction to Mental Health, published by the Arab Nahda House, (Dr. Hussein Muhammad Obaidat,: Manifestations of Fear in Umayyad Poetry, Ministry of Culture, Hashemite Kingdom of Jordan, 1st edition, .2015

-Abdulaziz Ateeq, Al-Badi' Science, Author: Publisher: Arab Renaissance House for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon,. (D.N) (D.T(

-Abdulaziz Muhammad Issa, Arabic Literature in Andalusia, Cairo, Al-Inmaa Press. 1936AD (d, i): .147

-Abdul Qadir Abd al-Hamid Zidane, Rebellion and Alienation in Pre-Islamic Poetry: Dar Al-Wafa for the World of Printing and Publishing, 1st edition, 2002AD.

-Abdul Qadir Abd al-Hamid Zidane, Rebellion and Alienation in Pre-Islamic Poetry::.116

-Ezzedine Ismail, The Psychological Interpretation of Literature, published by Ghareeb Library, 4th edition (D, T.(

- Izz al-Din al-Jardali, Chapters on Rhetoric and Literary Criticism, Al-Falah Library, Kuwait, 1983AD.

-Hamad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl. Ibn Manzur Al-Fariqi, d. (711AH). Lisan Al-Arab, Dar Sader - Beirut, 3rd edition, 1414AH.

-Abdel Salam Abdel Ghaffar, Introduction to Mental Health: published by Dar Al-Nahda Al-Arabiya, (ed.): .71

-Aziza Fawal Babti, Dictionary of Veteran and Umayyad Poets, Dar Sader for Printing and Publishing, Tripoli, Lebanon, 1st edition, .1998

-Ali Al-Batal: The image in Arabic poetry until the end of the second century AH, a study of its origins and development, Dar Al-Andalus for Printing and Publishing, 2nd edition, 1401AH, 1982AD: .130-192

-Fatima Saeed Ahmed, The concept of imagination and its function in ancient criticism and rhetoric, doctoral thesis, Umm Al-Qura University. Kingdom of Saudi Arabia, 1410AH, 1989AD

-Laila Sahl, The Phenomenon of Contradiction in the Poetry of Abu Al-Qasim Al-Shabi, (Research) Al-Makhbar Magazine, University of Biskra, Algeria, Issue 12, 2016

-Mohamed Rizika, the psychosocial conflict of the experienced adolescent and its relationship to the emergence of anxiety (a state_trait), Master's thesis, Algeria, Mouloud Mammeri University, Tizi Ouzou, 2011AD.
-Mohamed Abdel Aziz Kafrawi, Arabic Poetry between Stagnation and Development, Dar Al-Nahda, Cairo, (ed.), 1985AD.
-Mohamed Abdel Muttalib, Rhetoric and Style, Lebanon Library Publishers, Egyptian Company, Longman: 20
Manal Abdel Fadil: Animals and birds are poetic symbols in the Arabic poem, Aghsan Publishing House, Egypt, 1st edition, 2002: .33
- Musa Rabaya Repetition in Pre-Islamic Poetry, a stylistic study, Mu'tah Journal for Research and Studies, Volume Five, 1990AD.
-Nouri Hamoudi al-Qaisi, Umayyad Poets, Part One, helped by the University of Baghdad to publish it, 1396AH, 1976AD.
-Yassin Al-Nusair: Initiation, the art of beginnings in the literary text, Ministry of Culture and Information, House of General Cultural Affairs, 1st edition, Baghdad 1993AD.
-Youssef Khalif: The Tramp Poets of the Pre-Islamic Era, Dr., Dar Al-Maaref, Cairo, 3rd edition, :1966